أَنْـــتَ الَّـــذِي لَـــوْ يُـــعَـــابُ فـــي مَـــلاءٍ
مَـــا عِـــيـــبَ إلَّا بـــأَنَّـــهُ بَـــشَـــرُ[١]
وَأَنَّ إعْـــطَـــاءَهُ الـــصَّـــوَارِمُ وَالْـــ
ـخَـيْـلُ وَسُـمْـرُ الـرِّمَـاحِ وَالْـعَـكَـرُ[٢]
فَـــاضِـــحُ أَعْـــدَائِـــهِ كَـــأَنَّـــهُـــمُ
لَـــهُ يَـــقِـــلُّـــونَ كُـــلَّـــمَـــا كَـــثُـــرُوا[٣]
أَعَـــاذَكَ ٱلـــلَّـــهُ مِـــنْ سِـــهَـــامِـــهِـــم،
وَمُـــخْـــطِـــئٌ مَـــنْ رَمِـــيُّـــهُ الْـــقَـــمَـــرُ[٤]

الحرُّ لا يغدر

جاءه رسول سيف الدولة مستعجلاً ومعه رقعة فيها بيتان يسأله إجازتهما فقال:
[المتقارب]

رِضَـــاكَ رِضَـــايَ الَّـــذِي أُوثِـــرُ
وَسِـــرُّكَ سِـــرِّي فَـــمَـــا أُظْـــهِـــرُ[٥]
كَـــفَـــتْـــكَ الـــمُـــرُوءَةُ مَـــا تَـــتَّـــقِـــي،
وَآمَـــنَـــكَ الْـــوُدُّ مَـــا تَـــحْـــذَرُ[٦]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٩. الملأ: الجماعة من البشر. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه يخلو من كلّ عيب، سوى أنه من البشر، فصفاته صفات ملائكة تسمو به فوق سائر البشر.

(٢) و (٣) العكر: الإبل التي تعد خمسمائة فما فوق ذلك. ويُردف الشاعر أنّ ما يُعاب عليه من قبل البشر أنه كريم مسرف في عطائه، وقوام ذلك سيوف بتّارة وخيل من جياد الخيول ورماح الخطيّ، فضلاً عن قطيع ضخم من الإبل. ومن هنا كان فاضحاً لأعدائه؛ فرغم كثرتهم يُعتبرون قلّة. فإنهم ليسوا سواء، فلو اجتمع سائر أعدائه على العطاء، فإنهم لن يظهروا كرماء، وبهذا فإنه يفضحهم لكرمه الذي لا يُحدّ.

(٤) يدعو الشاعر لممدوحه بحفظ اللّه تعالى له ورعايته وحمايته من سهام أعدائه على تنوّعها واختلاف أشكالها، ومن صغر عقولهم أنهم يعتقدون أنهم يُصيبون القمر السامي العالي بسهامهم، إنهم مخطئون في ما يظنون.

(٥) و (٦) أوثر: أفضل. يدعو الشاعر ممدوحه ليطمئن، فما يُرضيه يُرضي الشاعر وهو ما =

وَسِرُّكُمُ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ
إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ[١]
كَأَنِّي عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ
وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ[٢]
وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ
مِنَ الْغَدْرِ وَالْحُرُّ لَا يَغْدِرُ[٣]
إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ
فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ[٤]
أُصَرِّفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي
وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ[٥]

= يفضّله ويختاره على ما عداه، لذا فإنه يستنكر على نفسه أن يُذيع سرّه أو ينشره على العلن، فالمروءة لدى الشاعر تمنعه من البوح بسرّ عزيز، والشاعر يفخر بمروءته، فضلاً عن أنه يُحبّ ممدوحه، وهذا كافٍ لعدم كشف أسراره، لذا يدعو الشاعر ممدوحه إلى الاطمئنان وراحة البال بأنه لن يفشي له سرًّا.

(١) الحشا: ما اضطمت عليه الضلوع. أنشر: بُعث من عالم الأموات. يُخبر الشاعر ممدوحه بأن سرّه مدفون في أحشائه ولن يطّلع عليه مخلوق حتى ولو بُعث من في القبور أحياءً يوم يُبعثون؛ وذلك مطلق مستحيل.

(٢) و (٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. المقلة: العين. ولشدّة حرص الشاعر على ألّا يُشارك جوارحه بعضها بعضاً؛ فعينه شاهدت شيئاً أخفته على قلبه فلم تُطلعه على ما رأت لحرصه الشديد على سمعة ممدوحه؛ وحفظ الأسرار أمانة، وكشف ذلك وإشاعته يُعدّ غدراً وخيانة، ومن طبيعة الأحرار إذا استودعوا أسراراً لا يُذيعون منها شيئاً، حتى ولو كان الأمر تافهاً، فكيف إذا كان يتعلّق بأمن الدولة أو سرّ الأمير ولي نعمة الشاعر؟!

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. النطقة: المرّة الواحدة من النطق. يُعلن الشاعر أن قدرته على النطق تستوجب فعلاً يتطلّب حركة وجهداً؛ بينما ترك النطق لا يحتاج إلّا إلى إرادة، وذلك أخفّ محملاً من الفعل وأسهل محافظة عليه.

(٥) القنا: الرماح. يفخر الشاعر بأنه قادر على السيطرة على نفسه، ويتحكّم بإرادته، وهو =

دَوَالَــيْــكَ يَــا سَــيْــفَــهَــا دَوْلَــةً
وَأَمْــرَكَ يَــا خَــيْــرَ مَــنْ يَــأْمُــرُ(١)
أَتَــانِــي رَسُــولُــكَ مُــسْــتَــعْــجِــلاً
فَــلَــبَّــاهُ شِــعْــرِي الَّــذِي أَذْخَــرُ(٢)
وَلَــوْ كَــانَ يَــوْمَ وَغَــىً قَــاتِــمــاً
لَــلَــبَّــاهُ سَــيْــفِــي وَالأَشْــقَــرُ(٣)
فَــلَا غَــفَــلَ الــدَّهْــرُ عَــنْ أَهْــلِــهِ
فَــإِنَّــكَ عَــيْــنٌ بِــهَــا يَــنْــظُــرُ(٤)

الناس الظلام وأنت النهار

قال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك: [المتقارب]

أَرَى ذٰلِــكَ الْــقُــرْبَ صَــارَ ٱزْوِرَارَا
وَصَــارَ طَــوِيــلُ الــسَّــلَامِ ٱخْــتِــصَــارَا(٥)
تَــرَكْــتَــنِــي الْــيَــوْمَ فِــي خَــجْــلَــةٍ
أَمُــوتُ مِــرَاراً وَأَحْــيَــا مِــرَارَا(٦)

= في الحرب أقدر يمتلك زمام أمره ويصبر عند الملمات واشتداد المعركة. وقد اصطبغت الرماح بلون الموت، أفلا يقدر على كتمان سرّ؟!

(١) دالت الدولة: تحوّلت. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن أمور دولته آلت إليه جيلاً بعد جيل، فأمر وأمرك مطاع وبيدك الأمر والنهي، فأنت خير من يأمر وينهى.

(٢) و (٣) أذخر: أدّخر، أخبّئ. يُعلن الشاعر استعداده لتلبية أمر الأمير، ولقد جاءه رسول الأمير، فإذا به يُسارع إلى تلبية مسعاه بشعر يحتفظ به لأجل رضى الأمير ولو كان يدعوه لمرافقته في القتال للبى النداء دون تردّد وبيده سيفه وجواده الأشقر، ممَّا يعني أن الشاعر على استعداد للتضحية في سبيل رضى الآمر، مهما تكن النتائج.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. يدعو الشاعر لممدوحه بدوام العمر والعافية التامة، إنه عين الدهر الساهرة على حماية رعيّته، وهو مصدر غناها لكرمه وجوده، فكل مصير الناس بيده، فإن اللّه تعالى يحميه ليصون من أوكله رعايتهم، وفي حال موته فإنهم سيضيعون.

(٥) و (٦) الازورار: الانحراف. يُعاتب الشاعر ممدوحه أنه ما عاد يهتمّ لأمره، بل إنه مال =